الترميز الدولي / ISSN (P) :2710-2653 تاريخ استلام البحث : 2026/2/2
ISSN (E) :2960-253X / تاريخ قبول البحث : 2026/4/30
رقم الايداع الوطني / 2375 /2019 تاريخ النشر : 2026/6/30

الاحزاب السياسية المفهوم والأهمية

Political Parties: Concept and Importance

أ.د. ستار جبار علاي

Prof.Dr.Sattar Jabbar Alai

جامعة بغداد / مركز الدراسات الاستراتيجية والدولية

University of Baghdad / Center for Strategic and International Studies

sattar.jabbar@cis.uobaghdad.edu.iq

IRAQI
Academic Scientific Journals
https://iasj.rdd.eedu.iq/journals/journal/view/229

الاحزاب السياسية المفهوم والأهمية

أ.د. ستار جبار علاي

الملخص

تشغل الاحزاب السياسية حيزاً كبيراً ومهماً في الحياة العامة لكل مجتمع من المجتمعات, وفي كل نظام سياسي من انظمة الحكم. وتعد الاحزاب السياسية من صفات أي نظام ديمقراطي فاعل, وتؤدي مجموعة واسعة من المهام, وتضطلع بذلك بالفعل, مثل تجميع المصالح والتعبير عنها, ووضع مقترحات للسياسات العامة في إطار تنافسي بما يعبر عن آراء الناس ويتيح لهم اختيارات مختلفة, واختيار مرشحين للمناصب المنتخبة, وتنظيم السلطة التشريعية, وتنسيق تشكيل الحكومة ونشاطها, واجتذاب القادة والمؤيدين والربط بينهما, وإدارة الحملات الانتخابية.

كلمات مفتاحية: الاحزاب– السياسة– السلطة – الديمقراطية.

Abstract

Political Parties are the main gatekeepers for candidates to participate in elections. Parties therefore have great influence over the degree of political participation at local, regional, and national levels. democracy is based on inclusiveness, which political parties and representative institutions are in a key position to safeguard. In most countries, parties determine which candidates are nominated and elected and which issues achieve national prominence.

Keywords: Parties- Politics- Authority- Democracy.

المقدمة

تشغل الاحزاب السياسية حيزاً كبيراً ومهماً في الحياة العامة لكل مجتمع من المجتمعات, وفي كل نظام سياسي من انظمة الحكم. وتعد الاحزاب السياسية من صفات أي نظام ديمقراطي فاعل, وتؤدي مجموعة واسعة من المهام, وتضطلع بذلك بالفعل, مثل تجميع المصالح والتعبير عنها, ووضع مقترحات للسياسات

العامة في إطار تنافسي بما يعبر عن آراء الناس ويتيح لهم اختيارات مختلفة, واختيار مرشحين للمناصب المنتخبة, وتنظيم السلطة التشريعية, وتنسيق تشكيل الحكومة ونشاطها, واجتذاب القادة والمؤيدين والربط بينهما, وإدارة الحملات الانتخابية.

وتتميز المجتمعات المعاصرة بوجود الاحزاب السياسية. وغابت وجهة النظر التي سادت في الماضي بكون الحزب مصدراً للانقسام والتفكك السياسي وحلت محلها وجهة نظر اخرى ترى ان السياسة معقدة للغاية بحيث لا يمكن تنظيمها بغير الاحزاب وان بناء واهداف الاحزاب من التنوع بحيث يستطيع أي نظام سياسي ان يختار ما يلائمه من تركيبة حزبية. وبذلك أصبح وجود الحزب السياسي من متطلبات العمل في ظروف التطور السياسي للدولة. فالأنظمة السياسية المعاصرة انظمة حزبية بامتياز, إذ لا تخلو دولة من الاحزاب السياسية الا ما ندر, وهذا دليل على العلاقة الوثيقة والقوية ما بين الانظمة السياسية والاحزاب, فكلاهما يؤثر في الاخر ويتأثر به وجوداً وغياباً. فالصراع السياسي ميزة الانظمة السياسية للوصول الى السلطة والمحافظة عليها. والاحزاب هي اجهزة صراع تنظيمية تتطلع محكومة, بالصراع السياسي الى السلطة التي كانت السبب الرئيس والمباشر لخلق انظمة سياسية.

ولم تعد النظم السياسية تتشابه الا من بعيد فالديمقراطيات الحديثة التي تقوم على اساس نظام تعدد الاحزاب الذي اختلفت كل الاختلاف عن النظم السياسية في القرن التاسع عشر التي استندت على التأثير الشخصي للنواب البرلمانيين الذين لا يرتبطون ببعضهم بروابط سياسية معينة. وبإحلال النظام الحزبي محل النظام اللاحزبي اقتضى ذلك إعادة النظر بصورة مجددة في التقسيم التقليدي للنظم السياسية.

أهمية الدراسة: تحظى الاحزاب السياسية بمكانة علمية كبيرة في دراسات علم السياسة, وهي مؤسسات لا تقل اهمية وخطورة عن بقية المؤسسات السياسية الاخرى التي تقوم بعملية تسيير أمور الدولة وتهيمن عليها, وأخذ المفكرون والمعنيون بالأحزاب والنظم السياسية على السواء يوجهون اهتمامهم بصورة رئيسية الى معرفة كيف ومتى وأين ترسم سياسة الدولة وما هو دور الاحزاب السياسية في هذه المجالات باعتبارها اقوى واضخم جماعة من جماعات الضغط.

إشكالية الدراسة: تبرز اشكالية الدراسة في ان دراسة الاحزاب السياسية تبقى قاصرة مالم تأخذ بنظر الاعتبار ايديولوجيتها وبنيانها العام وتنظيمها ومساهمة اعضائها في الحياة السياسية بصورة عامة وبالنشاط الحزبي خصوصا, فضلا عن علاقاتها بالأحزاب الاخرى. ودراسة الوسط الاجتماعي العام الذي تعمل فيه. فلا يمكن فهم بنيان حزب سياسي معين في الوقت الحاضر وأوجه اختلافه عن الاحزاب الاخرى دون الاحاطة بالأسباب والعوامل التي دفعت به الى الوجود ثم مراحل تطوره عبر تفاعله مع الاحداث التي واجهها والمواقف التي اتخذها ازائها.

فرضية الدراسة: تنتشر الاحزاب السياسية في معظم دول العالم وتختلف هذه الاحزاب من حيث تطورها وتكوينها وأهدافها ونشاطاتها وقومياتها والانظمة السياسية التي تعمل في ظلها. وأثار هذا التباين اشكالية وضع تعريف عام للأحزاب السياسية أو في تصنيفها الى مجموعات مختلفة. وابرز ذلك وجود تعريفات متعددة للأحزاب السياسية تختلف باختلاف طبيعة الحزب والنظام الذي يعمل من خلاله.ويرتكز مفهوم الأحزاب على تناقض أساسي؛ إذ يستحيل وصف مكانيكية الأحزاب السياسية وصفاً مقارناً وجدّياً. فالأبحاث المتخصصة السابقة والمتعددة والعميقة، وحدها تيح يوماً ما بناء النظرية العامة للأحزاب.

هيكلية الدراسة: حاولت الدراسة تغطية مختلف جوانب موضوع الاحزاب السياسية وذلك بتقسيمها الى عدة مطالب هي:

المطلب الأول, مفهوم الاحزاب السياسية

بداية أطلقت كلمة احزاب على الفئات التي كانت تتوزع الجمهوريات القديمة, وعلى الزمر التي كانت تتجمع حول أحد قادة المرتزقة في ايطاليا ابان عصر النهضة, وعلى النوادي, حيث كان يجتمع نواب المجالس الثورية, وعلى اللجان التي كانت تعد الانتخابات المحصورة في الممالك الدستورية, وايضا على التنظيمات الشعبية التي تسيطر على الرأي العام في الديمقراطيات المعاصرة.(1) واستخدام اسم الحزب تدريجياً, ليحل محل مصطلح(زمرة) وقبول فكرة ان الحزب ليس بالضرورة زمرة. وليس بالضرورة سيئاً. والتحول من الزمرة الى الحزب كان بطيئاً ومتعرجاً في هيمنة الفكرة والواقع. وفي النصف الثاني من القرن الثامن عشر ومع بدء فولتير في الانسكلوبيديا. لم يكن مصطلح الحزب نفسه كريهاً فيما كان مصطلح الزمرة كذلك. ومع تقبل رؤيته اثار فولتير بجملته جدلاً مفتوحاً من قبل بلونبرج في عام 1732 وبعد ذلك استمر لحوالي قرن.(2) والحقيقة ان التعريف اكد على ثلاثة معان فالحزب لا يعني الزمرة بمعناه السيئ, فهو متمايز ومختلف في مفهومه السياسي, وما يتبعه من توجيه الانتقادات للأحزاب واعتبارها شراً محضاً بحكم التعريف, والحزب هو جزء من كل, واهمية عدم تجاهل الارتباط بين مفهوم الحزب, والجزء الذي يمثله, وهو قناة للتعبير بما يشير الى وظيفته التمثيلية, إذ انه أداة لتمثيل الافراد من خلال التعبير عن مطالبهم.(3)

ويعود تاريخ الاحزاب السياسية الى عام 1850,حيث لم يكن أي بلد في العالم باستثناء الولايات المتحدة الامريكية يعرف الاحزاب السياسية بالمعنى العصري للكلمة. ولم تكن النوادي الشعبية, والتكتلات الفكرية, والكتل البرلمانية, احزاباً بالمعنى الصحيح للكلمة. وصولاً الى عام 1950 حيث أخذت الاحزاب تظهر في غالبية الامم المتحضرة, في حين كانت الدول الاخرى تجهد في تقليدها في ذلك.(4) الا ان هناك من يعترض بالقول ان ماركس كان قد وضع, منذ النصف

الاول للقرن التاسع عشر, الاسس النظرية للحزب, لكن اهتمام ماركس بالحزب بقي محدوداً, وبالتأكيد فإنه يمتلك الفضل الأكبر في التأكيد على الطابع الاجتماعي للحزب والاشارة الى ان الحزب يمثل اسلوباً في التعبير عن المصالح الطبقية داخل الحياة السياسية. ويسجل لماركس كشفه للطابع الاجتماعي للحزب, لكنه, بالمقابل, لم يعن بالحزب نفسه.(5)

ويعتقد موريس دوفرجيه أن نشأة الأحزاب المعاصرة تعود إلى عام 1850حيث لم يكن قبل ذلك أي بلد في العالم (باستثناء الولايات المتحدة) يعرف الأحزاب السياسية بالمعنى العصري للكلمة. وتكوَّن أول الأحزاب السياسية خلال القرن التاسع عشر الميلادي في أوروبا وأمريكا. وقبل ذلك ظهر حزبا الويج والتُوري في بريطانيا، حيث كانا في القرن الثامن عشر الميلادي مجموعات متفرقة من ذوي المصالح المشتركة، تهدف للسيطرة على الحكم؛ فقد كان أعضاؤهما في الغالب، من أصحاب الأراضي، والأعمال التجارية والأثرياء، وكانوا يتنافسون على التقرب من الملك. لم يكونوا بحاجة لمن ينتخبهم؛ لأن حق الانتخاب كان مقصورًا على فئة قليلة من الناس.(6)

وتعود أصول الأحزاب السياسية الى الغرب والولايات المتحدة الامريكية, وكان تطورها مرتبطاً بعدة مراحل مهمة. وفي المرحلة الاولى اقترن نمو الاحزاب بالحكم النيابي.(7) فقد عرفت الاحزاب السياسية بمعناها الحديث في الوقت الحاضر بعد عام 1850,فيما عرفت الدول الجمعيات الفكرية والسياسية والمهنية كالنوادي والنقابات والجمعيات الاجتماعية ومنظمات الشباب منذ أمد بعيد. وكان ظهور مرتبطاً ارتباطاً وثيقاً بظهور المجالس النيابية ونمو وظائفها كنتيجة من نتائج الاخذ بالديمقراطية ومبدأ سيادة الشعب. وبوجود المجالس النيابية ظهرت الكتل البرلمانية التي كانت في الواقع النواة الاساسية لمنشأ كثير من الاحزاب السياسية في مختلف دول العالم, والتعاون بين اعضاء هذه الكتل المتقاربين في الافكار ووجهات النظر

بضرورة العمل المشترك من اجل تحقيق الاهداف والافكار التي يؤمنون بها ويسعون الى تحقيقها, وبتوسع اعمال الكتل خارج المجالس النيابية من اجل التأثير في الرأي العام وكسبه وتنظيم الفئة أو الطبقة التي ينتمون اليها أو يدافعون عن مصالحها. وتحولت بعض هذه الكتل فيما بعد الى احزاب بكل معنى الكلمة.(8)

وتظهر الأحزاب السياسية في كل اشكال السياسة, وهي ظاهرة تطورت بداية في القرن التاسع عشر استجابة لظهور الانتخابات لتضم عدداً كبيراً من المصوتين, وقد طور السياسيون الاحزاب السياسية في ذلك الوقت كوسيلة لتساعدهم في الارتباط بالأفراد الذين يقومون بالانتخاب, الا ان الحزب وفر استخدامات اخرى كذلك, ومضى ليصبح ميزة للسياسات الحديثة في كل مكان.(9) وبذلك ارتبطت الاحزاب السياسية في وجودها ونشأتها وتطورها بالمجتمعات الغربية, لتكون ظاهرة اساسية لابد منها في أي مجتمع معاصر.

فيما رأى موريس ديفرجيه ان الجماعات البرلمانية وجدت اولا مع تطور نشأة البرلمان نفسه, ثم ظهرت اللجان الانتخابية, وحدث اتصال دائم ومستمر بينهما, ومنهما بزغت فكرة الاحزاب السياسية الى الوجود, ثم تطورت فأضحت في معناها الحديث أحدى مؤسسات النظام السياسي. كما تقف الى جانب ذلك عوامل اخرى خارج نطاقهما تتحصل في التداخل الذي تم بين مختلف الجماعات والنقابات وبين الاحزاب السياسية. وهناك الكثير من الجمعيات, والنقابات, والكنائس وغير ذلك من المؤسسات الاجتماعية, والعلمية, والعمالية, والمهنية, وقد لعبت دوراً كبيراً في ظهور فكرة الاحزاب السياسية في معناها الحديث.(10) وهناك أصلين للأحزاب هما: الأصل الانتخابي والبرلماني، والأصل غير الانتخابي وغير البرلماني أو الأصل الخارجي. إذ يتبلور الأصل الأول في تكوين الأحزاب من خلال إنشاء الكتل البرلمانية أولاً ثم اللجان الانتخابية في ما بعد، وأخيراً يقوم في المرحلة الثالثة تفاعل دائم بين هذين العنصرين. وتكون وحدة العقائد السياسية المحرك الأساسي

في تكوين الكتل البرلمانية. ومع ذلك فالوقائع لا تؤكد دائماً هذه الفرضية. إذ يبدو غالباً أن المجاورة الجغرافية أو إرادة الدفاع عن مصالح المهنة (المصلحة المهنية المشتركة) هما اللتان أعطتا الدفقة الأولى، أما العقيدة فجاءت فيما بعد. والى جانب العوامل المحلية الإقليمية والعوامل الإيديولوجية، يجب أن يحسب أيضاً حساب للمصالح. كقيام بعض الكتل بصورة صريحة أو ضمنية بالدفاع عن مصالحها البرلمانية، شأنها في ذلك شأن أي نقابة. والاهتمام بإعادة الانتخاب يلعب هنا بالطبع دوراً كبيرا. ويكاد نشوء اللجان الانتخابية، الذي جاء كرد على نشوء التكتلات البرلمانية، أن يكون مبادرة من اليسار، لأنه بفضلها، يمكن التعريف بالنخبة الجديدة القادرة على منافسة النحبة القديمة. وقد اضطر اليمين بحكم الضرورة إلى أن ينشئ بدوره لجاناً انتخابية. ويكفي بقيام هاتين الخليتين الرئيسيتين: الكتل البرلمانية واللجان الانتخابية، أن يقوم تناسق دائم بينهما وأن ترتبطا بروابط منتظمة حتى يتكون منهما حزب حقيقي.

وفي كثير من الحالات، يتم إنشاء الحزب، بصورة أساسية، بفضل مؤسسة قائمة من قبل، وذات نشاط مستقل خارج البرلمان، وعندها يمكن الكلام عن نشأة خارجية للأحزاب. فتكتل المنظمات التي تعمل على إنشاء أحزاب سياسية كثيرة ومتنوعة. والنقابات في الكثير من الأحزاب الاشتراكية مدين لها بوجوده بصورة مباشرة. كذلك التأثير الذي تمارسه التعاونيات الزراعية والتكتلات المهنية الفلاحية, ويدل دور الجمعية الفابية في نشأة حزب العمال البريطاني على أثر الجمعيات الثقافية والتكتلات الفكرية في ولادة الأحزاب السياسية. كما أن هناك أحزاباً سياسية تنشأ على هذا الأساس من إيجاد قاعدة شعبية تمكنه من النجاح في ظل نظام يعتمد الانتخابات طريقاً للوصول إلى السلطة.(11)

وحتى الحرب العالمية الأولى لم يكن هناك, في الواقع, الا اثنان فقط ممن عنيا عناية مباشرة بدراسة الاحزاب السياسية, الاول هو اوسترو كورسكي والثاني روبرت

ميشيل, فالأول اشتهر بكتابه الديمقراطية وتنظيم الاحزاب السياسية, وقد صدر في جزئين عام 1902.أما الثاني فقد اشتهر بكتابه الاحزاب السياسية وقد صدر في عام 1911.لكن الكتابين لا يعنيان الا بالكشف عن الفجوة الفاصلة ما بين خطب الاحزاب حول الديمقراطية والتطبيقات الفعلية لهذه الاخيرة, لينتهيا الى التأكيد بأن الديمقراطية مع الاحزاب تشكل معضلة اكثر مما تشكل حلا بالنسبة للمشاكل التي تواجهها الانظمة السياسية. وان همهما انصرف الى بيان ما اذا كانت الديمقراطية تقوم بلا احزاب أو لا تقوم الا مقترنة بها, ولم ينصرف همهما ابداً الى العناية بالديمقراطية كمنتظم يتأتى عن وجود الاحزاب ويرتكز اليها. وفوق كل هذا يسجل افتقادهما للبعد السوسيولوجي, ولعل كتاب ميشيل بقي مفتقداً لهذا البعد.(12)

كما كان للكنيسة دور أيضاً في إنشاء الأحزاب، كالأحزاب المسيحية اليمينية عام 1914.وفي ظهور الأحزاب الديمقراطية المسيحية. ويمكن إدراج جمعيات المحاربين القدامى في ظل التنظيمات الخارجية القادرة على خلق الأحزاب في أوروبا. إذ كان دورها كبيراً عقب الحرب العالمية الأولى في خلق الأحزاب الفاشية أو الشبيهة بها. ويجب أيضاً ذكر دور الجمعيات السرية والتكتلات والتجمعات الصناعية والتجارية. ومهما كان أصل الأحزاب ذات المنشأ الخارجي أي خارج الأساليب البرلمانية والانتخابية فإنها ذات صفات تميزها عن الأحزاب التي تحدرت برلمانياً وانتخابياً. وأهم هذه الصفات أن الأحزاب ذات المنشأ الخارجي أكثر مركزية وتماسكاً وانضباطاً من الأحزاب ذات المنشأ البرلماني والانتخابي. وكانت غالبية الأحزاب السياسية حتى عام 1900 ذات نشأة برلمانية، إلا أنه في القرن العشرين أصبحت النشأة الخارجية هي القاعدة في حين ارتدت النشأة البرلمانية طابع الاستثناء. أما بالنسبة لنشأة الأحزاب في دول العالم الثالث فأنه ثمة أنظمة استعمارية كانت قد أقامت في البلدان المستعمرة مجالس تمثيلية، وأحياناً نظاماً انتخابياً محدوداً. وغالباً ما رفضت الحركات القومية العمل من داخل النظام

البرلماني، واضطرت حركات التحرر الوطني، نتيجة لعداء أغلب النظم الاستعمارية لها، أن تلجأ إلى السرية. وأخيراً، حالات تظهر فيها أحزاب جماهيرية في غياب كل نظام استعماري أو برلماني. ويشار ايضاً إلى دور القادة الكاريزميين في نشأة أحزاب العالم الثالث وخصوصية هذه الأحزاب واختلافها الكبير عن الأحزاب الغربية.(13)

المطلب الثاني, أهمية الاحزاب السياسية

يعد ماكس فيبر من أوائل من بدأ الدراسة السسيولوجية للأحزاب, حيث لاحظ ان النظام الديمقراطي الحديث سيبدو مجرد كذبة اذا ما بقي يتمسك بمشاركة الجمهور في السياسة. فوجود احزاب ذات قاعدة واسعة يبدو أمراً لا يمكن تحاشيه بالنسبة للدولة الحديثة. ان فيبر بوضعه للحزب في مركز العازل ما بين الديمقراطية والبيروقراطية, يكون قد وضع الحد الفاصل فيما يتعلق بفهمه للحزب. إذ اورد فيبر في المدة الواقعة ما بين 1917– 1919 الكثير من الملاحظات ذات الطبيعة السسيولوجية التي تكشف عن الاسس الاجتماعية للحزب, كما أكد اهمية التنظيم في وجوده وفي تعيين بنيته الداخلية. وبدأ اهتمام علماء الاجتماع بدراسة الاحزاب السياسية كمجموعات اجتماعية, وتحديدا في الولايات المتحدة الامريكية, ليؤكد توكفيل ان لها دوراً متميزاً بالقياس الى الاحزاب التي وجدت في البلدان الاوروبية.(14)

وخلال حقبة 1920– 1940 سادت مفاهيم أوستروكورسكي التي طرحها في كتابه الديمقراطية وتنظيم الاحزاب السياسية الصادر في عام 1903,ومفاهيم ربرتو ميشلز التي طرحها في كتابه الاحزاب السياسية: دراسة سسيولوجية للميول الأوليغارشية في الديمقراطية الحديثة الصادر في عام 1911,ومن ثم افكار موريس دفرجيه, فيما بعد, والتوجه الى دراسة الاحزاب من ناحية بنيانها وعلى الاخص ما تعلق بتنظيمها. وما شهدته مرحلة ما بعد الحرب العالمية الثانية من بروز الاتجاه

الوظيفي وخصوصا في الولايات المتحدة الامريكية, وركز هذا الاتجاه على دراسة الاحزاب من خلال نشاطاتها. وكيفية اتخاذ القرارات الحزبية, ودور القادة الحزبيين في ذلك بدلا من دراسة الاحزاب كما هي في حقيقتها, ودراسة استراتيجيتها بدلا من تنظيمها. وانصبت هذه الدراسات على الاحزاب السياسية الاوروبية والامريكية, الا ان ما يسجل على هذه الدراسات انها كانت تنطلق من دراسة النظم السياسية الى دراسة الاحزاب السياسية, أو بالعكس.

الا ان تراجع واختفاء الكثير من الاحزاب القديمة في اوروبا أو تضاءل دورها في السياسة, وبروز احزاب جديدة بأفكار ومبادئ عصرية جديدة دفع دراسات جديدة لتناول الجوانب المختلفة من حياة الاحزاب في الوقت الحاضر. وعلى صعيد آخر برزت في العالم الثالث احزاب قادت حركات وطنية ثورية, واستطاع بعضها ان يحقق الاستقلال ويبني نظماً سياسية جديدة, وبمقابل ذلك برزت احزاب اقليمية وقطاعية وأثنية ذات افاق ضيقة. فأحزاب العالم الثالث بحكم نشأتها وتطورها ومهامها لم تكن تحمل السمات العامة للأحزاب السياسية القديمة, مما فرض توسيع آفق الاهتمام بها, وما تبعه من الاخذ بنظر الاعتبار المعطيات التي تبنى على أساسها الاحزاب السياسية في دول العالم الثالث.(15) لكن الاحزاب السياسية كانت مثار شك وخوف من ان يسفر وجودها عن تمزيق وحدة المجتمع. فضلا عن طابعها الطبقي إذ ان تواجدها كان بين الطبقات الارستقراطية والوسطى, وبقي الصراع السياسي قاصراً عليها وعلى اعضائها.(16) وهنا تبدو الاحزاب السياسية ظاهرة اجتماعية وتنظيم سياسي فهي ظاهرة لأنها تعبر عن تباين وجهات النظر المختلفة لدى افراد المجتمع حول القضايا المشتركة, وتنظيم لأنها نشأت بصورة عامة بنشوء الديمقراطية السياسية وتطورها في الدول الغربية. وبرزت الحاجة للأحزاب مع ظهور الانقسام في المجتمع الى قوى مختلفة ومتعارضة المصالح, واقتضت الحاجة تجميع ردود الفعل المختلفة لدى الافراد

وتنسيقها لمواجهة المشاكل التي تطرحها الحياة السياسية, لغرض القيام بعمل جماعي مشترك.(17)

وبالمحصلة نجد ان الحزبية بمدلولها المعاصر ظاهرة حديثة نسبياً, وأياً كانت ظروف النشأة الاولى للأحزاب السياسية, فان الدراسات تشير الى ثلاث نظريات نوعية لتفسير ظهور الاحزاب السياسية, تركز الاولى على تطور الابنية البرلمانية والتي من خلالها ظهرت الاحزاب, فالأحزاب وفقاً لهذه النظرية قد ظهرت من خلال البرلمان. وتطور نمو الدور السياسي للبرلمان في الدول الاوروبية. والنظرية الثانية هي نظرية النخبة حيث تربط ظهور الاحزاب باتساع عمليات التحديث والتطوير الصناعي. فالنظرية تؤكد ان نشأة الاحزاب السياسية جاءت نتيجة لبعض الازمات التاريخية التي واجهت النخب السياسية في بعض الدول والتي هيأت لتكوين الاحزاب السياسية في مراحل لم تكن تتوافر فيها بتلك البلدان الكيانات البرلمانية التي كانت موجودة في بعض الدول الاوروبية, وتفسر هذه النظرية نشأة الاحزاب السياسية في بعض دول العالم الثالث مثل الهند ومصر, حيث ادى الاحتلال البريطاني لهما الى ظهور الاحزاب السياسية, وذلك من اجل الدعوة الى التحرر من الاستعمار. واخيراً النظرية الثالثة وهي نظرية التحديث وتربط ظهور الاحزاب باتساع عمليات التحديث والتطوير الصناعي. إذ ترجع نشأة الاحزاب السياسية الى التصنيع الذي ادى الى ظاهرة النمو الحضري, مما هيأ لظهور التنظيمات ذات الطابع الجماهيري في المجالات الاجتماعية المختلفة بما فيه الحياة السياسية, ومنها نشأ حزب العمال البريطاني, وتأسس بعد قرار اصدره مؤتمر النقابات العمالية عام 1899 بإنشاء منظمة انتخابية برلمانية, ليظهر الى الوجود حزب عمالي مستقل تديره مجموعة من رجال الفكر الاشتراكي والجمعية الفابية. فضلا عن دور الجمعيات السرية في ظهور الاحزاب كالحزب الشيوعي في

روسيا, وكذلك دور مؤسسات رجال الاعمال في تأسيس بعض الاحزاب كالحزب الكندي المحافظ في عام 1854.(18)

المطلب الثالث, تفسير أصول الأحزاب السياسية

تطرح العديد من الأسس المختلفة حول أصل الاحزاب السياسية, وأهم هذه الأسس هي:(19)

أولاً, الأساس النفساني, وقد طرحه العالم لويل كأساس لأصل الاحزاب السياسية, وساد في دراسات الفلسفة السياسية واتخذها البعض منهجاً نفسانيا لدراسة الاحزاب. إذ قسم لويل الشعور الانساني وفق ظاهرة التغيير ولزوميته الى نوعين هما: الليبراليين وهم الذين يؤمنون بالتغيير ويوافقون عليه. والمحافظين الذين يؤمنون ببقاء الحال على ما هو عليه. واهمية هذا الاساس في تحليل الظواهر النفسية التي ساعدت على تكوين الاحزاب السياسية, وتفسير انقسام شعور الناس نحو ظاهرة التغيير الاجتماعي والسياسي والتي يمكن على اساسها فهم انضمام هذا الفرد أو ذاك الى حزب معين وفق شعوره من ظاهرة التغيير.

ثانياً, الأساس الاجتماعي– الاقتصادي, ويطرح كأساس لأصل الاحزاب السياسية بتغليب الظواهر الاجتماعية والاقتصادية, فسوء توزيع الثروة وغيره حد التخمة عند قلة قليلة من الناس, وفقر مدقع يسود الاغلبية منهم يعد مصدراً دائماً ومهما في اختلاف الناس وانقسامهم وحدوث الصراعات بينهم. وهذه الفوارق من ابرز العوامل في نشوء الاحزاب السياسية كذلك تلعب الافكار والتقاليد والاختلاف الديني والعنصري ادوار مهمة في تكوين ونشوء الاحزاب السياسية.(20) من خلال تحليل البناء العضوي للأحزاب, إذ ان الفرد ينضم الى عضوية حزب ما وفق ظروفه الاجتماعية والاقتصادية أي وفق الطبقة الاجتماعية والاقتصادية التي يتخذ موضعه فيها. وبتطور المجتمع وما ترتب عليه من تعقيدات متزايدة في العلاقات الاجتماعية ظهرت الاحزاب السياسية كفعاليات اجتماعية استجابة لتلك

الاحتياجات. وهي محاولة للربط بين مستوى التطور السسيو- اقتصادي والديمقراطية. كما ويستند هذا الاساس الى رؤية ارسطو الذي قسم الناس الى جماعات سياسية على اساس المصالح الاقتصادية والاجتماعية. ووافق جيمس ماديسون في كتابه الفدرالية على ما ذهب اليه ارسطو في اتخاذ اسلوب الحياة, ومصدر الدخل, ومقداره كمعايير لتقسيم المجتمع. كما ذهب ماركس في هذا الاتجاه في مفهوميه المتعلقين بالنظام الطبقي, وبربط الاجور بنظام الملكية البرجوازية والبروليتارية. الا ان اعتماد هذا الاساس وحده يؤدي الى اهمال عناصر وأسس اخرى مهمة, كتلك المتعلقة بالدين, والجنس, والانتساب الى قومية محلية معينة, أو اقلية معينة. فضلا عن افتراض ان الاعتبارات العقائدية والمذهبية يمكن ان تحدد بعناصر مادية, أو طبقة معينة وهو أمر غير صحيح كما اثبتت ذلك التجارب التاريخية. الى جانب اهمال هذا الاساس ما يتعلق بالتنظيم الداخلي أو الخارجي للحزب, وعلاقته بالحكومة وبسائر المؤسسات السياسية الاخرى في النظام السياسي, وبكيفية تفسير نفوذ الزعامة والقيادة على اعضاء الحزب.

ثالثاً, الأساس العقائدي, ويركز هذا الاساس على ان ما يجمع اعضاء الحزب من عقيدة سياسية, إذ يتقاسم اعضاء الحزب الايمان بهذه العقيدة فيما بينهم. فالأساس في تواجد الاحزاب السياسية هو عنصر العقيدة.

رابعاً, الجماعات البرلمانية واللجان الانتخابية, إذ ترتبط نشأة الاحزاب السياسية بالجماعات البرلمانية, واللجان الانتخابية. وقد عرفت بالنظريات المؤسسية التي ربطت ظهور الاحزاب بتطور الاجهزة النيابية. وكان ماكس فيبر أول من اشار الى ارتباط نشأة الاحزاب بتكوين المجالس التشريعية ووقوعها تحت تأثير الأرستقراطية والأعيان.(21) الا ان الكتل البرلمانية واللجان الانتخابية لم تكن المصدر الوحيد لنشأة الاحزاب السياسية وانما هناك تنظيمات وهيئات كثيرة اخرى يمكن ان تكون المحرك الفعلي لنشوئها. فالجمعيات الدينية كانت اساساً لنشأة كثير

من الاحزاب الاسلامية كجماعة الاخوان المسلمين في بعض الاقطار العربية وحزب التحرير في لبنان. وكذلك بالنسبة للجمعيات الفكرية كالمنتدى الادبي الذي اسسه في الاستانة عبد الكريم الخليل وسيف الدين الخطيب ورزوق سلوم وغيرهم والذي قام بدور سياسي فعال واسهم في الدعوة للفكرة القومية التي كانت اساساً لنشأة كثير من الاحزاب العربية, ودور جمعية العربية الفتاة التي كانت اساساً في نشأة بعض الاحزاب في سوريا كحزب الاستقلال العربي وحزب التقدم. وعلى الرغم من ان السلطات الاستعمارية في غالبية دول العالم الثالث أنشأت نوعاً من الحكم النيابي وأقرت حق التصويت بصورة مقيدة, الا ان الحركات الوطنية في اغلب هذه الدول رفضت العمل من خلال النظام البرلماني. بل ان العداء الاستعماري لحركات التحرر الوطني جعل الاخيرة تتخذ طابعاً عسكرياً حتى تستطيع قهر السلطة الاستعمارية ونيل الاستقلال.(22)

ويبرز الحديث عن نشأة الاحزاب السياسية الغربية حقيقة ان الاحزاب كانت نتيجة اكثر منها سبباً للديمقراطية. وقد كان لها الفضل في تعزيز مسيرة الديمقراطية. وبعبارة اخرى, اذا كانت حرية الاجتماع والمشاركة قد سمحت بتكوين الاحزاب, فإن نمو النظام الحزبي كان له دوره في تعميق الايمان والالتزام بهذه الحريات. وتواكب تطور الاحزاب مع تطورات الثورة الصناعية. ولم يكن هدف الاحزاب الغربية إعادة صياغة المجتمع بصورة جذرية شمولية وإنما تكونت لأداء ادوار محددة: وضع برامج, وإقرار التشريعات, ومراقبة الحكومة, وحل الصراعات. لقد ظهرت الاحزاب لتجد واقعاً قائماً قبلته وارتضت العمل من خلاله وفي إطاره. وهذا ما يفسر التطور السلمي الهادئ للأحزاب في الغرب. وتطورت الاحزاب لتصبح منفتحة ومتسامحة مع سائر الجماعات والادوار. وصارت وظيفة الاحزاب مقتصرة على تجنيد القيادات التي تختارها هيئة الناخبين لتسيير دفة الحكم خلال فترة زمنية محددة طبقا لبرنامج معين.

خامساً, نظريات الازمة التاريخية, وترتبط هذه بأزمات التنمية والتحديث, وانتقال النظام السياسي من وضع تقليدي الى وضع الحداثة. ويقترن قيام الاحزاب بحدوث تلك الازمات وكرد فعل لها. وأهم هذه الازمات هي ازمة الشرعية, وازمة المشاركة, وازمة التكامل. فأزمة الشرعية تبرز عندما تعجز المؤسسات السياسية أو بنية السلطة في مجتمع ما عن الاستجابة للمطالب المتزايدة والظروف الجديدة. وكانت هذه الازمة سبباً لظهور بعض الاحزاب في كل من اوروبا والدول حديثة الاستقلال. أما ازمة المشاركة فترتبط بظهور قوى اجتماعية جديدة تتطلع الى ان تلعب دوراً في الحياة السياسية للمجتمع. وينصب ذلك بإيجاد القنوات اللازمة للمشاركة. ومن ثم تتكون الاحزاب تحقيقاً لهذه الغاية. كما تقترن هذه الازمة بالتحولات الاقتصادية والاجتماعية الكبرى التي ادت الى تغييرات هائلة في الاوضاع والعلاقات الطبقية والاجتماعية وظهور طبقات جديدة وسطى وعمالية طالبت بدور فاعل في تقرير السياسة العامة. واخيراً ازمة التكامل القومي فترتبط بالتعددية الثقافية او الاجتماعية بمعنى وجود مجموعات عرقية وقبلية ولغوية ودينية ينقصها الشعور بالولاء القومي. وفي كثير من الدول كونت الاقليات الدينية أو اللغوية احزاباً خاصة بها ناوأت الحركة الوطنية واعتصمت بمطالبات اقليمية شكلت تهديداً لتكامل الدولة الواحدة.(23) وهذه الاحزاب نشأت في اغلب الاحيان في ظروف اجتماعية واقتصادية وسياسية متأزمة, فهي ناجمة في الواقع عن ازمة مر بها النظام السياسي حيناً, وفي أحيان اخرى ان ظهورها ذاته يخلق ازمة سياسية للنظام. فالأزمات السياسية تلقي عبئاً على النظام التقليدي بحيث تؤدي أما الى تنظيم الاحزاب السياسية القائمة أو الى بروز احزاب جديدة.(24)

سادساً, النظريات التنموية, حيث تربط نشأة الاحزاب السياسية بالتحولات الاقتصادية والاجتماعية. فالحزب السياسي الجماهيري المعاصر هو نتاج الثورة الصناعية. فقد اتاحت المراكز الصناعية للطامحين الى القيادة فرصة توعية

وتعبئة اعداد كبيرة من الافراد. كما ان التصنيع وتطور وسائل النقل والاتصال والتعليم يؤدي الى تزايد عدد الافراد الذين يريدون التأثير على القرارات السياسية وبناء تنظيمات سياسية وصولا الى هذا الهدف. وتغلغل المركز في الاطراف قد يدفع ابناء المحليات الذين يتأثرون بهذا التدخل الى تكوين احزاب للمعارضة أو التعاون مع النخب في احيان اخرى.(25) وتفسر التحولات في البنى المهنية والاجتماعية للمجتمعات الصناعية المتقدمة التغير في النظم الحزبية الاوروبية والامريكية. فالصناعة المتقدمة أدت الى تآكل العلاقات التقليدية وهوية المجتمعات المحلية, ومع زيادة المنافسة بين الشبكات الاجتماعية التي قسمت ولاء المواطنين. واستنفذت هذه العمليات في تفكيك التحالفات الانتخابية في الدول الغربية, وهي سبب في تفتيت النظم الحزبية في العقود الماضية.(26)

بالمقابل هناك من يرى ان الأحزاب السياسية لم تنشأ من أصل واحد بل نشأت بأشكال ولأسباب مختلفة أهمها خمسة هي:(27)

1- إرتباط ظهور الأحزاب السياسية بالبرلمانات ووظائفها في النظم السياسية المختلفة .وبوجود البرلمانات ظهرت الكتل النيابية التي كانت النواة لبزوغ الأحزاب حيث أصبح هناك تعاون بين أعضاء البرلمانات المتشابهين في الأفكار والإيديولوجيات أو المصالح, ومع مرور الوقت تلمس هؤلاء حتمية العمل المشترك. وقد ازداد هذا الإدراك مع تعاظم دور البرلمانات في النظم السياسية إلى الحد الذي بدأ نشاط تلك الكتل البرلمانية يظهر خارج البرلمانات من أجل التأثير في الرأي العام كما حدث في العديد من الأحزاب الأوروبية, وفي العالم النامي توجد حالة حزب الحرية والائتلاف العثماني الذي كان في الأصل مجرد كتلة للنواب العرب في البرلمان التركي عام 1911.

2- اقتران ظهور الأحزاب السياسية بالتجارب الانتخابية في العديد من بلدان العالم, وهي التجارب التي بدأت مع سيادة مبدأ الاقتراع العام عوضاً عن مقاعد

الوراثة ومقاعد النبلاء . حيث ظهرت الكتل التصويتية مع ظهور اللجان الانتخابية التي تشكل في كل منطقة من المناطق الانتخابية بغرض الدعاية للمرشحين الذين أصبحوا آلياً يتعاونون لمجرد الاتحاد في الفكر والهدف. وقد اختفت تلك الكتل – بداية– مع انتهاء الانتخابات لكنها سرعان ما استمرت بعد الانتخابات وأسفرت عن أحزاب سياسية تتألف من مجموعات من الأشخاص متحدي الفكر والرأي . أي أن بداية التواجد هنا كان خارج البرلمان ثم أصبح الحزب يتواجد داخله. وكانت تلك الأحزاب قد سعت إلى تكوين هياكل تنظيمية دائمة لكسب الأعضاء ومراقبة عمل البرلمان والسلطة التنفيذية.

3- ظهور منظمات الشباب والجمعيات الفكرية والهيئات الدينية والنقابات, وقد سعت بعض هذه المؤسسات لتنظيم نفسها بشكل أكبر من كونها جماعات مصالح تحقق الخدمة لأعضائها. ولعل أبرز الأمثلة على ذلك حزب العمال البريطاني الذي نشأ بداية في كنف نقابات العمال بالتعاون مع الجمعية الفابية الفكرية. وكذلك الحال بالنسبة لأحزاب الفلاحين وخاصة في بعض الدول الاسكندنافية حيث كان أصل نشأتها الجمعيات الفلاحية. إضافة إلى ذلك فقد كان أساس نشأة بعض الأحزاب المسيحية في أوروبا هو الجمعيات المسيحية. أما في أمريكا اللاتينية فإنه لا يوجد أي أساس للنشأة البرلمانية للأحزاب السياسية . ولذلك فإن البحث في أصول الأحزاب هناك يركز على التحليل الاجتماعي والاقتصادي لأوضاع هذه البلدان بعد جلاء الاستعمار وبما يعكس مصالح كبار الملاك والعسكريين والكنيسة وكانت تلك هي اللبنة الأولى لظهور الرعيل الأول من الأحزاب السياسية هناك.

4- ارتباط نشأة الأحزاب السياسية (في بعض الأحيان وليس دائماً) بوجود أزمات التنمية السياسية. فأزمات مثل الشرعية والمشاركة والاندماج أدت إلى نشأة العديد من الأحزاب السياسية. ومن الأحزاب التي نشأت بموجب أزمة الشرعية وما تبعها من أزمة مشاركة الأحزاب السياسية الفرنسية التي نشأت إبان الحكم الملكي في

أواخر القرن الـ18وخلال الحكم الاستعماري الفرنسي في خمسينيات القرن العشرين. وبالنسبة لأزمة التكامل فقد أوجدت في كثير من الأحيان أحزاباً قومية ويشار على سبيل المثال إلى بعض الأحزاب الألمانية والإيطالية, إضافة لبعض الأحزاب العربية التي جعلت من الوحدة العربية والفكرة القومية هدفاً لها.

5- ظهور الأحزاب السياسية كنتيجة لقيام بعض الجماعات لتنظيم نفسها لمواجهة الاستعمار والتحرر من نير الاحتلال الأجنبي ,فقد كانت الجمعيات السرية من ابرز العوامل في نشوء وتكوين الاحزاب السياسية, فالقانون لا يبيح لها حق الوجود لتمارس نشاطاتها, فتضطر محكومة بعوامل الضرورة واحكامها, الى العمل السري وتتخذه اساسا لتحقيق اهدافها في قلب نظام الحكم وتغيير السلطة أو تأخذ على عاتقها العمل الثوري للتحرر من سلطة اجنبية.(28) وهو الأمر الذي يمكن تلمسه على وجه الخصوص في الجيل الأول من الأحزاب السياسية التي ظهرت في بعض بلدان العالم العربي وأفريقيا.

على هذا الأساس بدأت نشأة الأحزاب السياسية بشكل أولي منذ نحو قرنين من الزمان ولكنها لم تتطور وتلعب دوراً مهما إلا منذ حوالي قرن. وقد تباينت أسباب ودواعي النشأة . لكن الأحزاب بشكل عام كانت إحدى أهم آليات المشاركة السياسية ومن أهم أدوات التنشئة السياسية في المجتمعات بالرغم مما قيل عنها في بداية النشأة من أنها ستكون أداة للانقسام وللفساد السياسي وأنها ستفتح الباب عملياً أمام التدخل الأجنبي وستكون مصدراً لعدم الاستقرار السياسي وانعدام الكفاءة الإدارية وذلك كله على حد تعبير جورج واشنطن مؤسس الولايات المتحدة الأمريكية.

وتتعدد العوامل التي تتحكم في تأليف الاحزاب السياسية, والتي تدفع بالأفراد الى الانضمام اليها أو تأييدها أو التعاطف معها عديدة ومتنوعة, وتركزت في اتجاهين رئيسيين هما: العوامل الاجتماعية. والعوامل المعنوية والحضارية.

فالعوامل الاجتماعية تشير الى ان الافراد الذين يعيشون اوضاعا اجتماعية مشتركة وفي ظل ظروف اجتماعية متماثلة تكون لهم مصلحة مشتركة وتدفعهم الى التكاتف فيما بينهم وتنظيم انفسهم بأشكال مختلفة. وأحد هذه الاشكال الاحزاب التي هي منظمات متخصصة في العمل السياسي. وينقسم ذلك باتجاهين رئيسيين هما: الاتجاه الماركسي حيث ان علاقات الانتاج بالسلطة تؤلف اساس تكوين الطبقات الاجتماعية وهي ليست بمعزل عن الطبقات الاجتماعية الاخرى التي تعارضها. فلا يؤلف الافراد طبقة الا اذا انخرطوا في كفاح مشترك ضد طبقة اخرى, والقوة التي تؤثر على تكوين الطبقة هي مصلحة الطبقة ذاتها. وهي مصالح موضوعية, تكتل افراد الطبقة وتكون منهم قوة عامة, ولا تختلف مصالح الطبقة عن المصالح الذاتية أو الشخصية فحسب, وانما قد تدخل في صراع مع هذه المصالح الاخيرة. والاتجاه الغربي الذي يرى بأنه لا يوجد نشاط بدون ان يكون مصحوباً بغرض تحقيق مصلحة ما, فلا يوجد نشاط بدون باعث عليه. والذين يقولون بنظرية المصالح والصراع الطبقي عليهم ان يميزوا بين حالتين, الاولى, ان المصلحة في السياسة هي المصلحة الاقتصادية مضافة الى فكر اقتصادي موجه ليس سوى تعبير عن وجهة نظر اولئك الذين يلعبون دورا في الحياة السياسية دون ان يدركوا فعلا ذلك. وفي هذه الحالة تندمج المصلحة والطبقة احدهما بالأخرى. والثانية ان يكون فيها الشخص الذي يلعب دورا في الحياة السياسية متمسكا بالمصلحة الاقتصادية وفقا لمفهومه هو عن المصلحة الذاتية والواقع, لقد خلق التفاوت بين الافراد والجماعات في المجتمع الطبقات, والاحزاب السياسية سواء اعلنت ذلك أو أخفته, ومن الطبيعي ان يسعى الفرد الى الانضمام للحزب الذي يراه اقرب من غيره اليه من ناحية ايديولوجيته ومن ناحية تعبيره عن اوضاعه الاجتماعية, والاهداف التي يسعى اليها والتي تقترب من التعبير عن آماله وطموحاته في حياة افضل.

6- العوامل الحضارية والاجتماعية فتبرز خصوصا في العالم الثالث وأثرها في تأليف الاحزاب السياسية, وهناك العديد من الاسباب منها الصراع الحضاري عندما ينقسم افراد المجتمع في مواجهة التكنولوجيا الى طائفتين: تتمسك الاولى بالقيم والمؤسسات التقليدية التي لم تعد تتواكب مع مراحل التطور الحديث, وتسعى الطائفة الثانية الى تغيير المجتمع التقليدي بالقيام بالتنمية والتطوير الاقتصادي وايجاد المؤسسات الحديثة والاخذ بأسلوب الحياة العصرية. وضعف البنيان الطبقي الذي يأتي من ضعف الحدود الفاصلة بين طبقة واخرى ولا تقف عائقا امام انتقال الفرد من طبقة الى اخرى, وبالتالي فان الوعي الطبقي ضئيل الاهمية في تكوين الاحزاب او المواقف الحزبية. الا ان الطبقة والدين في البلدان المتقدمة هما السائدان في الاختلاف بين الاحزاب الاوروبية. وأخيراً الدين والحزب فالدين اكثر العوامل تأثيراً في تنوع المواقف السياسية للأفراد في الديمقراطيات البرلمانية. ويعبر الدين عن مجموعة من القيم التي تقوم على اساسها المؤسسات وتؤثر بشدة على طبيعة العمل السياسي, ويؤثر بشدة على طبيعة العمل السياسي. فالجماعات الدينية المختلفة ذات هويات سياسية مختلفة ايضاً, وتساهم العناصر الدينية بالسياسة في اوضح اسلوب عن طريق الحزب السياسي الديني كالأحزاب الديمقراطية المسيحية والاحزاب الاسلامية. وتختلف الجماعات الدينية من ناحية بنيانها الاجتماعي- الاقتصادي والاثني, وكذلك من ناحية تواجدها في بقعة جغرافية معينة, ومن ناحية مصالح القطاعات المسيطرة فيها, وتنعكس كل هذه العوامل بشكل اتجاهات سياسية. كما ان الاحداث التاريخية التي تمر على طائفة دينية معينة تؤدي الى اتخاذ اتجاه سياسي معين. وتتوثق الرابطة بين الطائفة الدينية والاتجاه السياسي بمرور الزمن بحيث يصعب اجتثاثها أو زوالها بعد ذلك. واوضح شكل للمساهمة الدينية في السياسة هو الحزب السياسي الديني. وتبرز عوامل مختلفة لقيام الحزب الديني منها عندما ترى هيئة دينية ان على عاتقها ان

تنشر رسالة سماوية بين البشر, وانها مستقلة عن سلطة الدولة, تأخذ بالعناية بالسياسة كثيراً. ويعد الدين أحد مقومات الحضارة, بل والشخصية القومية وذلك عندما يتعرض البلد الى تهديد بالخطر من بلد اخر, وغالبا ما تظهر في هذه الحالات احزاب دينية. ومثالها المستعمرات السابقة, فقد اتخذت الحركات القومية في بداياتها شكل منظمات ذات اتجاه ديني هيأت من بعد الطريق نحو حركة سياسية وطنية. وتختلف الاحزاب الدينية اختلافا كبيرا باختلاف البلدان التي توجد فيها, وباختلاف الفترات التاريخية التي تظهر فيها, وباختلاف القاعدة الاجتماعية التي تقوم عليها, واختلاف برامجها للعمل, ومواقفها ازاء المشاكل التي تتعرض لمعالجتها. وغالبا ما توجد الاحزاب الدينية في البلدان المقسمة سياسياً وفقا لفوارق وخطوط طبقية اجتماعية.(29)

وتختلف ظروف نشأة الاحزاب السياسية في دول العالم الثالث إذ انها ظهرت لتتعامل مع سلسلة من المشكلات وقضايا التحرر الوطني, وتأكيد الذات الوطنية, وخلق قيم المشاركة والايجابية السياسية, وبناء المؤسسات الحكومية الشرعية, وتحقيق التنمية وادارة الصراع. الا ان اهم ما يميز تجربة الاحزاب في دول العالم الثالث انها افتقرت الى نظام يساند الاحزاب السياسية وتقاليد الحكم النيابي والشعور بالمواطنة المسؤولة وقيم التحاور والتسامح على مستوى النخب الحاكمة. وظهر نظام الحزب الواحد في العديد من الدول وبينت الممارسة ضعفها تنظيمياً وفكرياً وتحولها الى أدوات لحشد التأييد الشعبي وضرب المعارضة والنيل من الديمقراطية بمعنى مشاركة الجميع في تقرير امور حياتهم.(30) وقد تكون ازمات الاندماج وتحديداً مشكلة الاندماج الاقليمي, ودور الهيئات الاجتماعية الاثنية المقسمة تكيف نفسها بعضها مع البعض الاخر, فعوامل التجزئة الجغرافية والطائفية والقبلية واللغوية.. الخ قد دفعت الاحزاب التي كانت تقود الحركات التحررية, الى العمل على تحقيق الاندماج القومي. لكن هذه الحركات الاندماجية

غالبا ما أدت الى بروز جماعات مضادة تقف بوجه تحقيق الاندماج. فالحركة الاندماجية التي قادها حزب المؤتمر الوطني الهندي قبل الاستقلال دفعت بشكل مضاد الى بروز حزب الرابطة الاسلامية تحت شعار حماية الطائفة الاسلامية.(31)

وبحلول نهاية القرن التاسع عشر وبداية القرن العشرين بدأت المرحلة الثالثة من مراحل تطور النظام الحزبي, إذ لم يعد الدافع الى تكوين الحزب مقتصراً على النواب فقط, بل اصبح ينبثق ايضاً من افراد لا يعنيهم البرلمان ولا العمل من خلاله, وتوجه هؤلاء اساساً الى الطبقة العاملة. وقد جمعت هذه الاحزاب بين قوة التنظيم ووضوح الرؤية والتأييد الجماهيري وتتناول برامجها المفاسد الاقتصادية والاجتماعية للثورة الصناعية مع توضيح سبل العلاج.

ويمثل ظهور الاحزاب الشيوعية في أوروبا الغربية المرحلة الرابعة في عملية التطور الحزبي, وتميزت هذه الاحزاب بالوضوح الفكري والتنظيم المحكم وتأكيد قيم الطاعة والعمل الثوري ويختار لعضويتها من يبدي الولاء والاخلاص التام لمبادئها الى جانب المثابرة والتفاني في العمل. ويكون هؤلاء خلايا في مجال الاقامة والعمل والاجتماع بصفة دورية. أما الاحزاب الاشتراكية فقد أخذت تتكيف للحكم النيابي والديمقراطي. كما أخذت الاحزاب الليبرالية والدينية طابعاً جماهيرياً في بعض النظم السياسية الغربية, الا انها استخدمت في مجتمعات اخرى للإطاحة بالحكم الديمقراطي وإقامة نظام الحزب الواحد كما في المانيا النازية وايطاليا الفاشية.

والمرحلة الاخيرة في تطور الاحزاب السياسية كانت بعد الحرب العالمية الثانية حيث افتقدت طابعها الايديولوجي الى حد كبير وتكتسب الصفة البراجماتية. وباتت تتعامل مع مشاكل مؤقتة وتبحث عن حلول وقتية ولم تعد تلح على التغيير الشامل والحل الكامل لمشاكل المجتمع, والاكتفاء بالإصلاح أو الحلول التوفيقية والتغييرات الجزئية.(32)

وتبرز اهمية الاحزاب السياسية, كظاهرة من ارتباطها بالنظم السياسية الحديثة, وحقيقة إن النظم السياسية الحديثة تظل غالبا نظماً حزبية سواء أكانت ليبرالية أم سلطوية أم شمولية, تعددية أم أحادية. ان هذا الارتباط القوي بين الظاهرة الحزبية, والنظم السياسية الحديثة يضفي أهمية خاصة على موقع وأهمية الاحزاب داخل اطار النظم السائدة في بلدان العالم الثالث.(33) وما يرتبط بذلك من بروز الظاهرة الحزبية التي تشير الى كل الاحزاب وأي كيان شبه حزبي يقوم بمهام الاحزاب السياسية, فالأحزاب السياسية هي كيانا واجزاء وهيئة للتمثيل الشعبي مهمتها التعبير عن مطالب محددة.

الخاتمة

تعد الاحزاب السياسية مؤسسات حديثة العهد اذا ما قورنت بالمؤسسات السياسية الاخرى كالمجالس النيابية والوزارات. لكنها تطورت تطوراً كبيراً في الوقت الحاضر من نواحي عديدة ولا سيما من حيث تكوينها وافكارها واهميتها بالنسبة للحياة السياسية للدول. فقد تطورت الاحزاب السياسية من مجرد تجمعات لأفراد يحملون مبادئ سياسية متقاربة الى اجهزة منظمة غاية التنظيم لها قواعدها الخاصة التي تتميز عن قواعد بقية المؤسسات السياسية الاخرى والتي تحدد كيفية تشكيل تنظيماتها الداخلية ووظائفها تجاه الاعضاء ومدى سلطاتها عليهم, كما تبين اسلوب العمل الحزبي وكيفية اتخاذ القرارات وطريقة الانتماء اليها ومركز القيادات والاعضاء فيها.

فالأحزاب السياسية هي مدارس سياسية تقوم بتثقيف اعضائها ونشر الوعي السياسي بين المواطنين تقود الدول وتحدد سياستها على الصعيدين الداخلي والخارجي وذلك سواء كانت في الحكم أو في خارجه. ومن خلال تولي السلطة يسعى الاعضاء الى تحقيق اهداف احزابهم بالشكل الذي ترسمه لهم قياداتهم الحزبية. ولهذا فان قيادات هذه الاحزاب هي الموجه الحقيقي لجميع الهيئات

الحاكمة بفعل سيطرتها على الاعضاء الحزبيين وهي التي تضع السياسة العامة للدولة وتحدد كيفية تنفيذها. أما دور الاحزاب وهي في المعارضة فأنه لا يقل اهمية عن دورها وهي في الحكم حيث تقوم بالضغط على الحكومة وتأليب الرأي العام عليها لمنعها من القيام بكل ما يتعارض مع الافكار والاهداف التي تعمل من اجل تحقيقها. ومحاولة اجبار الحكومات على تسيير امور الدولة ورسم سياستها بالشكل الذي يتلاءم مع تحقيق اهدافها ومبادئها.

الهوامش

1- موريس دوفرجيه.الاحزاب السياسة.ترجمة علي مقلد وعبد الحسن سعد.دار النهار للنشر.بيروت.الطبعة الثالثة.1980.ص6.
2- Giovanni Sartori,Parties and Party System;Aframework for analysis,Cambridge University Press,London,1976,p3.
3- حمدي عبد الرحمن.النظم الحزبية والمشاركة السياسية.مجلة الديمقراطية.العدد 4.مركز الدراسات السياسية والاستراتيجية.القاهرة.خريف 2001.ص26.
4- موريس دوفرجيه.مصدر سابق.ص6.
5- عبد الرضا حسين الطعان. البعد الاجتماعي للاحزاب السياسية دراسة في علم الاجتماع السياسي.بلا دار نشر.الطبعة الاولى.1990.ص11.
6- الاحزاب السياسية.المصدر: https://groups.google.com/forum/#!topic/fayad61/rYy-ksLfgqA
7- كمال المنوفي.أصول النظم السياسية المقارنة.شركة الربيعان للنشر والتوزيع.الكويت.الطبعة الاولى.1987.ص186.
8- وابرز الامثلة هي الكتلة التي شكلها النواب العرب في البرلمان التركي في اذار(مارس)1911 وكانت النواة لنشئة حزب الحرية والائتلاف العثماني,وفي العراق حزب الشعب الذي تأسس في 20 تشرين الثاني(نوفمبر)1925,وحزب الاخاء الوطني الذي تأسس في 25 تشرين الثاني(نوفمبر)1930.وللمزيد من التفاصيل انظر:شمران حمادي.الاحزاب السياسية والنظم الحزبية.مطبعة دار السلام.بغداد.الطبعة الاولى.1972.ص7- 9.
9- أسامة الغزالي حرب. الأحزاب السياسية في العالم الثالث. عالم المعرفة.العدد117.المجلس الوطني للثقافة والفنون والآداب. الكويت. ايلول(سبتمبر)1987.ص5.
10- موريس دوفرجيه.مصدر سابق.ص7- 13.
11- الموسوعة السياسية. المصدر:-https://political-encyclopedia.org/dictionary/%D8%A7%D9%84%D8%A3%D8%AD%D8%B2%D8%A7%D8%A8%20%D8%A7%D9%84%D8%B3%D9%8A%D8%A7%D
12- نقلاً عن:عبد الرضا حسين الطعان.مصدر سابق.ص12- 13.
13- الموسوعة السياسية.مصدر سابق.

14- نقلاً عن:عبد الرضا حسين الطعان.مصدر سابق.ص13- 14.
15- صادق الأسود.علم الاجتماع السياسي,أسسه وابعاده.وزارة التعليم العالي والبحث العلمي.كلية العلوم السياسية.جامعة بغداد.1992.ص467- 468.
16- كمال المنوفي.مصدر سابق.ص186.
17- رفيق سكري.الرأي العام بين القوة الناعمة والقوة الخشنة.المؤسسة الحديثة للكتاب.لبنان.الطبعة الاولى.2012.ص336- 337.
18- محمد سعد ابو عامود.الاحزاب بين الدول المتقدمة والنامية. مجلة الديمقراطية.العدد 4.مركز الدراسات السياسية والاستراتيجية.القاهرة.خريف 2001.ص36- 37.
19- ابراهيم درويش. النظام السياسي,دراسة فلسفية تحليلية.دار النهضة العربية.القاهرة.1968.ص172- 176.
20- طارق علي الهاشمي. الأحزاب السياسية. مطابع التعليم العالي. جامعة بغداد .العراق.1990.ص76.
21- كمال المنوفي.مصدر سابق.ص188- 189.
22- المصدر نفسه.ص189.
23- المصدر نفسه.ص190- 191.
24- صادق الأسود.مصدر سابق.ص471.
25- كمال المنوفي.مصدر سابق.ص192.
26- بيتر سيافيليس.الحزب والهيكل الاجتماعي.ص 3-4.عرض أ المصطفى عبد الحافظ.2017/10/29.المصدر:
https://sites.google.com/site/comppoliticsegphd/20178/--20172018/rdalasbwalrabaalmstfybdalhafzalahzabwalhyaklalajtmayte
27- موريس دوفرجيه.مصدر سابق.ص7- 19.أيضاً: الاحزاب السياسية انواعها واهدافها.المصدر: http://www.elssafa.com/vb/showthread.php?t=19171
28- طارق علي الهاشمي. مصدر سابق.ص83- 84.
29- صادق الأسود.مصدر سابق.ص483- 497.
30- كمال المنوفي. مصدر سابق.ص187- 188.
31- صادق الأسود.مصدر سابق.ص478.
32- كمال المنوفي. مصدر سابق.ص186- 187.
33- أسامة الغزالي ح